

## دلالات الاغتراب الاجتماعي في الشعر الجزائري الحديث

### *Signs of social alienation in modern Algerian poetry*

د. موسى كراد<sup>1</sup>\*

<sup>1</sup> المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة - الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/03/27 ؛ تاريخ القبول: 2019/05/28 ؛ تاريخ النشر: 2019/09/17

**ملخص:** تتناول هذه الدراسة تجليات ودلالات الاغتراب الاجتماعي في الشعر الجزائري الحديث، حيث شكلت ظاهرة الاغتراب ميزة غلبت ووسمت معظم قصائده المنتجة مع تنوع في التجربة والتوظيف، فقد عاش الجزائري (الشاعر) واقعا مأزوما في فترة التحولات (الثمانينات والتسعينات) شهد من خلاله المجتمع الجزائري تغيرات مست بنيتة السياسية والثقافية والاقتصادية والتي أثرت سلبا عليه، وجعلته يعيش اغترابا متعددًا، فعصفت بأحلامه وطموحاته وتطلعاته، واصطدم بجدار الضياع والإحباط وعدم الإحساس بالانتماء، بالإضافة إلى شعوره بالاستلاب وعدم تقدير لكفاءاته وقيمه الفكرية والثقافية.

**الكلمات المفتاحية:** الاغتراب؛ المجتمع؛ الشعر الجزائري الحديث؛ دلالات

**Abstract:** This study deals with the manifestations of social alienation in modern Algerian poetry, where the phenomenon of alienation has been an advantage and has dominated most of its poems with a variety of experience and employment. The Algerian poet lived a reality in the period of transformations (1980s and 1990s) Political, cultural and economic, which negatively affected him, and made him live a multi-immigrant, And he was stoned with his dreams and ambitions and aspirations, and hit the wall of loss and frustration and lack of sense of belonging, in addition to the sense of abuse and lack of appreciation for its competence and intellectual and cultural value.

**Keywords:** alienation; society; modern Algerian poetry; The signs

\* المؤلف المرسل: [adab.kerrad@yahoo.com](mailto:adab.kerrad@yahoo.com)

## تمهيد:

عرف الأدب الجزائري في فترة الثمانينات والتسعينات (فترة التحولات) تحولا بارزا مس بنيته الشكلية والتشكيلية الفنية وذلك تبعا وبناءً على التغيير والتحول الذي مس بنيته بانعكاساتها الاجتماعية والثقافية الأدبية في الجزائر، فشكّلت هذه الأوضاع والواقع الجديد نقطة تحول هامة اكتسب فيها حالة من الحزن والقلق والضيق والاغتراب فرضها رهن ممزق ووضع مأساوي عاشته وعاشته الأمة العربية الإسلامية عامة والجزائرية خاصة، والتي عانت من ويلات عشرية سوداء أنت على الأخضر واليابس، حيث راح الشاعر الجزائري وهو في أوج موته وانكساره يرقب تارة ويجاري أخرى عالما يخطو بخطى ثابتة نحو التحدي والأمل والحلم عن طريق الكتابة والبوح الصريح، فالإبداع كان عنده " فعلا مضاد للموت والفناء كانت الكتابة مشروعا مستقبليا.. والإضافة والتجديد نوع من تحقيق الذات ... وتعبير عن وجهة نظر"1.

لقد خلفت تلك العشرية وما قبلها وما بعدها واقعا مأساويا مؤلما، أعلن من خلاله الشعراء الجزائريون رفضهم وقلقهم وضيقهم، وذلك من خلال معجم شعري خاص، وشعرية تقدم المشهد الجديد، مشهد يجسد التزامهم بالواقع والراهن المفروض بممارسة حرياتهم التي استقتها من تجارب الشعر العالمية، والتي أفضت إلى " غموض النص من جهة، وانفتاح البناء النصي على متاهة الجيل من جهة أخرى"2، وقد وصف أحمد يوسف في كتابه " يتم النص " " هذا الجيل بجيل اليتيم، الذي يفتقد إلى أب يستند إليه، ويلوذ به، فراح يتبنى فلسفة خاصة ولغة جريئة انفجارية تتوشح هالة من السواد، وتركب غوايات التجريب والتجديد، وترسم واقع الشاعر بريشة الرفض والتجاوز"3 فكان في معجمهم ولغتهم ألفاظا وتعابيرا تصور حجم الألم والمأساة، فشكّل مثلا لفظ الموت ومعجمه الدلالي معجما وجدانيا مأساويا يبنى على ألفاظ كلها توحى بالمأساة، الدم والجراح، الفجيعة الدموع، الهم الأوجاع، الخراب، الدمار، الجنائز، الحزن، الألم"4.

فأحمد شنة مثلا في ديوانه (من القصيدة إلى المسدس) يبرز لنا حجم المعاناة من خلال الإهداء حيث قال: "إلى الذين رفضوا أن يغادروا الجزائر في عز المحنة وفضلوا أن يموتوا برصاصة غادرة في وطنهم... إلى المواطنين الصابرين تحت سنابك الفتنة ورهج الدمار وجبروت الإرهاب والقرصنة"5، ومما لوحظ في أثناء قراءة بعض دواوين الشعراء الجزائريين في هذه الفترة أن التعبير الدرامي ذو الحس الاغترابي انعكس وتجلّى كثيرا في صورهم الفنية، " وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى رؤية الشاعر الجزائري المعاصر للواقع ومدى تمرده عليه"6. من هنا شكّل الاغتراب بكل أنواعه وأنماطه المختلفة في الشعر الجزائري الحديث سمة بارزة جدا في القصيدة الشعرية الحديثة.

سنعالج في هذا المقال الاغتراب الاجتماعي، الذي شكّل حيزاً كبيراً من معاناة الشاعر الجزائري الحديث، الذي يعد فرداً في هذا المجتمع بالدرجة الأولى، فكانت وطأة الاغتراب عنده شديدة ومؤلمة، فكيف تجلّى هذا الاغتراب في القصيدة الجزائرية الحديثة في نماذج مختارة لبعض الشعراء الجزائريين.

## 1. مفهوم الاغتراب ودلالاته:

للاغتراب معانٍ ودلالات عديدة، تعكس طبيعة النظر إليه، والرؤيا الفنية له، فتتبع اللفظ في المعاجم العربية يشير إلى أنّه مشتق من الفعل غَرَبَ، يَغْرِبُ، بمعنى غاب واختفى وتوارى وتنحى وبَعَدَ عن وطنه إذ جاء لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة عن الوطن، فقد أشار الفراهيدي إلى هذا المعنى بقوله: " الغربة: الاغتراب عن الوطن، وغرب فلان عنّا أي تنحى وأغربته وغرّبته، أي نحيته، الغربة النوى والبعد"<sup>7</sup>.

ويؤكد هذا المعنى الجوهري، إذ يقول أن التغريب: النفي والإبعاد عن البلد مشيراً إلى الحديث النبوي الذي أمر بتغريب الزاني منه إذا لم يحصن<sup>8</sup>. وأشار ابن منظور إلى أن لفظ (الغُرب) بمعنى الذهاب والتخفي عن الناس، وترد الغربة والغرب بمعنى النوى والبعد، ويُقال غَرَّبَ في الأرض إذا أمعن فيها، ورجل غريب ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام، وتبعه الزبيدي في تاجه<sup>9</sup>.

إذن نجد أن لفظة الاغتراب تشير في أغلب معانيها إلى الغربة المكانية والابتعاد عن الوطن، إذ تشترك هذه الدلالة بجذر واحد هو (الانفصال عن) وإبرادة ذاتية أي حصول الانفصال برغبة الذهاب وإرادته،

أما في الاصطلاح فقد اعتبر معظم الدارسين أنّ ظاهرة الاغتراب إنسانية عالمية، وُجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية وتشعباتها، وفي كل الثقافات ولكن بدرجات متفاوتة، خاصة في الحياة المعاصرة، فالاغتراب قد يعني الانفصال وعدم الانتماء، وهو وعي وإدراك الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به، يتجسد ذلك في الشعور بعدم الانتماء والضيق والاستلاب والقلق.

لكن على الرغم مما كتب عن ظاهرة الاغتراب، فإنّ تداخل التخصصات أدى إلى تضارب الآراء، والاتجاهات والميول، فالمصطلح مازال يكتنفه بعض الغموض، وربما كان ذلك أمراً طبيعياً شأنه شأن غيره من المصطلحات المثيرة، ومع هذا التباين، وذلك الغموض، وتلك الاختلافات في الرؤى وأساليب المعالجة، فإن أغلب تلك الجهود التي قيلت، نجدها تلتف حول أشياء معينة بالذات وتدور حولها، وتشير أغلبها إلى دخول عناصر معينة في مفهوم الاغتراب مثل (الانعزال) و(الوحدة) و(الغربة) و(الانفصال) و(الانخلاع) و(التخلي) و(الانتقال) و(التجنب) و(الابتعاد) والانسلاخ عن المجتمع، والعجز

عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل أيضاً انعدام الشعور بمغزى الحياة<sup>10</sup>. إذ أنّ هذه الظاهرة تختلف من إنسان لآخر تبعاً لطبيعة تلك الشخصية، وحجم معاناته النفسية، فضلاً عن طبيعة علاقته بمن حوله، إذ يتميز كل إنسان بقدرة محددة ومعينة في توجيهه لمعالجة المشاكل التي تواجهه والتي تختلف فيها درجات المعالجة واللامبالاة، إذ نلمس في هذا المصطلح تنافراً قائماً بين حال المرء، وما ينبغي أن يكون عليه<sup>11</sup>.

وقد حدد عدد من الباحثين المحدثين دلالات الاغتراب ومضامينه والمتمثلة في العجز والاستسلام، والهراء، وفقدان المعنى، والتحلل من القواعد العامة المتبعة، أي ضعف الالتزام بالأعراف الاجتماعية المنظمة للسلوك، وكذلك الغربة الثقافية من خلال الشعور بالانفصال عن القيم السائدة في المجتمع، والعزلة الاجتماعية التي تعني الشعور بالوحدة والانفصال، وقطع العلائق الاجتماعية، فضلاً عن الغربة الذاتية التي تمثل القضية الجوهرية، إذ أنها تشير من طرف آخر إلى أن الفرد لم يعد يملك زمام ذاته<sup>12</sup>. وقد يتداخل المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ليعطيا مفهوماً واحداً هو الابتعاد عن الناس بالجسم والفكر، فالاغتراب عاطفة قد تستولي على المرء ولاسيما الفنانين، الذين -ربما- يعيشون في قلق وضيق نتيجة شعورهم بالبعد عما يحلمون<sup>13</sup>.

وقد شكّلت قضية الاغتراب أحد الروافد الهامة للفكر الإنساني، ومن مكونات الواقع الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للفرد والمجتمع على السواء. وهي قضية وإشكالية لا يخلو منها أي عمل فني أو أدبي، يعبر عن الإنسان البدائي والمعاصر وإحساسه بالتمزق والضيق والاضيق والالانتماء والقهر والاستلاب.

فلقد تعرض الإنسان - تاريخياً - لحالات اغتصاب، وقهر، واعتداء، وتشويه، ومسّت شخصيته الإنسانية، فبدت عليه مشاعر البؤس والشقاء والاضيق، فضلاً عن العقد النفسية مما يعني " أن مفهوم الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للإنسان، حيث يفقد مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والاسـتـمـرارية"<sup>14</sup>. عبر كامل أطوار حياته.

## 2- ماهية الاغتراب الاجتماعي:

يتمثل الاغتراب الاجتماعي في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي؛ أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمودّة والألفة الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقار دائم للدفع العاطفي<sup>15</sup>.

فهو اغتراب عن المجتمع ومغايرة معايير، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية، والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي<sup>16</sup>. فيلجأ الفرد المغترّب اجتماعياً إلى الخروج على نوااميس السائد الاجتماعي من خلال معارضة تلك القوانين ومحاولة إسقاطها، خضوعاً لرؤيتين:

هما إحداهما سلبية والأخرى ثورية إيجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي<sup>17</sup>، " فالغريب هنا هو من يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس، باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية"<sup>18</sup>، كما أن مجمل العلاقات بين الإنسان والآخرين تتشكل من خلال مجموعة من القيم النابعة من سوية النفس البشرية وسلامة توجهها الفعلي وانطلاقها في خضم الحياة، ضمن معطيات وظروف طبيعية، إلا أن حدوث أي خلل في ارتباط الشخص بأي قيمة إيجابية يخلق هنالك نوعاً من الانفصال بين هذا الشخص وما طبع عليه أصلاً من جهة، وانفصاله عن الآخرين من جهة أخرى.

ويتحدد الاغتراب عن البنية الاجتماعية في العلاقة المترهلة بين المواطن والسلطة بوصف الأخيرة عند هيجل أبرز بنية اجتماعية Social Structure يقوم عليها المجتمع الحديث<sup>19</sup>، تنفصل الشخصية في الاغتراب الاجتماعي عن الآخر، الذي يمثل المجتمع؛ سواء كان بنية، أو أفراداً، أو قيماً اجتماعية.

ثم إنَّ انتماء المواطن لمجتمعه مرهون بمدى حصوله وتمتعته بحقوقه الإنسانية والاجتماعية التي أبرزها شعوره بالأمن والحرية والعدالة، وفي المقابل فإنه يشعر بالعزلة/ الاغتراب عن مجتمعه إذا ما فَقَدَ هذه الحقوق<sup>20</sup> فضياع الأمن والشعور بالمطاردة وفقدان العدالة يؤول في نهاية المطاف إلى فكرة الاغتراب الاجتماعي<sup>21</sup> إذ كيف يمكن للمواطن أن ينعم بالهدوء والاستقرار والطمأنينة وكل شيء لا يشعره بالانتماء إلى مجتمعه.

### 3- تجليات الاغتراب الاجتماعي في الشعر الجزائري الحديث: نماذج مختارة:

حاولت القصيدة الشعرية الجزائرية الحديثة النهوض بالمجتمع من خلال زرع بذور الأمل والغد الجميل، فعبرت عن الحب والطموح والبناء والتشديد.. لكنها في فترات متفرقة أو مجتمعة اصطدمت بواقع مؤلم فضيع سببته تلك الانتكاسات والخيبات التي عاشها المجتمع بكل طبقاته، فتغيرت نبرة القصيدة فمن الفرح إلى الحزن والألم، ومن الانتماء إلى اللانتماء والاغتراب، ومن البناء إلى الهدم، ومن لَمِّ الشمل والوحدة إلى التفرق والضياع والشتات.. كانت تلك بعض معاني الاغتراب التي تجلت في القصيدة سنحاول استكناها من خلال النماذج الآتية.

يصور سليمان جوادي ذاته الاجتماعية المغترية في قصيدته (ما سر القمة يا أماه ) إذ يصبح حلمه ضائعاً وأشعاره مغترية وسط مجتمع لا تهزه أوتار قلب رقيق ولا انحناءة جسم، لم يبق له إلا الأحلام في منامات اليقظة، يقول:

ويضحك جرح فوق حنين الأحزاب والأيتام

تسود الزحمة بين الشاعر والأوهام

## يمتد الحلم الضائع

يصبح مغتربا على خارطة الأحلام<sup>22</sup>.

عندما يشعر الفرد بالاغتراب بينه وبين المجتمع الذي ينتمي إليه، يحدث شرخ كبير بقلبه، فتتصدع علاقاته الاجتماعية، ويسكنه قلق وضياح وتيه لا يعرف مداه، فلا يبالي بمن حوله ولا هم يبالون به، فتُقتل الشفقة والحب بين الناس ويضيع الاطمئنان وتنقلب الموازين:

أتذكر أنني قتلت بوالدتي الشفقة

أتذكر أنني سرقت لمجهّد عرقه

وتركت قبيل صدور قراري

القلب على ورقة

صيرت الغد مواويلا

صيرت الصفعة تقبيلًا<sup>23</sup>.

ومهما أراد الفرد تجاوز اغترابه الاجتماعي إلا أنه يجد نفسه محاصرا بأفكار تختلف عن أفكاره، وحتى وإن حوّل الصفعة قبلة، ومدّ يده محاورا مسالما متغافلا، فسيبقى دائما ضمن دائرة اغترابه الاجتماعي ما دام هناك من يرفض سماعه:

وجلست أحاوركم.. وأحاوركم

وأمد يديّ إلى أصحابي المرتزقة

الحرف يباغته الكتمان

وتنفية الأعماق

وترفضه الخشبة<sup>24</sup>

فحينما يكتّم الحرف ويدفن في الأعماق يتنازل المرء عن السؤال، وعن المعرفة ويستسلم لأفكار مكتئبة تُفرض عليه وهو لا يرتضيها، فيُفضل الابتعاد والانعزال، لأن لا قوة لديه للمواجهة والمقاومة.

وأنا لا أسأل عن؟..

لا أعرف من؟.

ظلت أشعاري مغترية

ظلت أفكاري مكتئبة

## يحتج السيف

ولا تحتج أيا وطني الرقبة<sup>25</sup>.

فالسيف يحق له أن يحتج لأنه قوي، أما الرقبة فلا حجة لديها لأنها ضعيفة، وبالتالي يتغير جوهر الإنسان الطاهر النقي، ويتحول إلى التصنع والمداراة والنفاق، الذي يوسع الهوة بين ظاهر الإنسان وباطنه، وكلما ابتعد الإنسان عن جوهره الحقيقي وانغمس في التصنع زاد الاغتراب.

والملاحظ أنَّ " أن وجود الإنسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع الحديث لا يتفق مع جوهره، أو ما هو من حقيقته، وإنما هو يختلف عنها بل ويتعارض معها، فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون<sup>26</sup>."

وهذا ما ينشأ عنه صراعات نفسية داخلية يختلف رد فعلها من شخص إلى آخر " ففي الصراع بين الفرد والمجتمع مواقف متفاوتة فهناك الغربية ( الاغتراب )، وهناك الثورة على المجتمع، وهناك التأقلم مع المناخ الاجتماعي، وهناك العزلة الكلية عن المجتمع<sup>27</sup>."

يعبر عبد الحميد باشوات عن تعبهِ وسأمة وتجرحه مرارة البعد والاغتراب مع ذاته وببئته وزمانه الملى بالحرمان والهوان يقول:

حسبنا ما قد لقينا

من تعاسات الزمن

أكؤس الحرمان ذل الاغتراب

ومرات الهوان

مذ خلقنا... منذ بدأ الدهر... نحن في ارتحال<sup>28</sup>.

إنها الغربية الاجتماعية... إنه اليأس والقنوط من هذه الظروف الاجتماعية التي تعيشها بلاده، بل إنَّ هذا اليأس أفقد الشاعر عزته ومقامه يقول:

نفسى يمزقها الاغتراب

ويمسخني اليأس ظلا مهينا

وأشعر أني تجردت من عزتي

فقدت الآن قيمتي كبريائي

وأصبحت جد حقير ضعيف<sup>29</sup>.

ذاق الشاعر في هذه الأسطر الشعرية ذلّ الاغتراب، وانكسار النفس والكبرياء، ووحشة الروح، بين ظهرائي أهله ومجتمعه، وتأرجح بين أوجاع الاغتراب وآمال الانتصار الشخصي لإثبات وجوده والوصول إلى ما يبتغيه من مجد. وكثيرا ما يكون الاغتراب من نصيب الفرد الذي لا يُلتفت إلى قدراته لأن "الكفاءة الأصلية المفترضة أو الحقيقية تنتقل إلى اللقب أو البدلة الرسمية"<sup>30</sup>، أي الاهتمام بالمظهر الخارجي، يقول مصطفى دحية معبرا عن هذا الواقع:

المسكون بالإبكار... يا ...

يا العابرون علي اصطباري

هاؤم استجلوا نهاري

لي من السجن موئل

أنا هنا خلف التواري<sup>31</sup>.

فأداة النداء ( يا ) تبقى دائما تبحث عن مجيب، فهو يشير إلى نفسه المغتربة الوحيدة بعذابها وآلامها من أجل أن ينتبه له الآخر، من أجل أن يعطيه فرصة ليشارك هو أيضا بأفكاره ليرسم هو أيضا أحلام الوطن.

فالمغترب يعيش صراعا بين أمله في إصلاح المجتمع وتحقيق طموحاته، وبين الواقع الأليم الذي يعيشه ويجده ماثلا أمامه كل وقت ولا مفر منه ولا إليه، فعندما يرفض الاعتراف بهذا الواقع، يجعله ذلك ينفصل وينفصم عن مجتمعه، ونجده يتفوق داخل شرنقة الاغتراب ويصبح اليأس والإحباط منهجه في الحياة.

ويهدي الشاعر الأزهر عطية حبه إلى أولئك الجوعى والمساكين، الذين وئدت أحلامهم وآمالهم، يقول:

إلى من يموتون جوعا،

على شاطئ الحب والليل يروي،

كتابا من الصمت،

قصيد من الشعر أهديه،

يا إخوتي الحيارى،

إلى من يموتون جوعا،

فشعري غداء لهم رغم أنفي،

فما قلت شعرا،

فصبرا رفاقي،

فعما قريب،

ستأتي طيور السلام<sup>32</sup>.

إنّ الحقل الدلالي لهذه المقطوعة يوحي بإعلان الشاعر عن حبه صراحة للمستضعفين والأحرار في توقعهم إلى الحرية ونبد الظلم واعداء إياهم بعودة الربيع وطيور السلام.

إنّ آثار الاغتراب السياسي على البنية الاجتماعية لم تظهر فقط في ظاهرة الاغتيالات الفكرية، بل طال الأمر إلى الاغتيالات والتصفية الجسدية، حيث تتبع الشعراء بوعيم الشعري والواقعي مختلف الظواهر الاجتماعية التي لها علاقة بالسياسة، والتي وسمت الوضع الاجتماعي بالاغتراب وبالانهيار والتأزم والانفلات، خاصة في مرحلة العشرية السوداء، حيث انتشرت مظاهر الموت والاقتتال، يقول عز الدين ميهوبي مستنكرا القتل الذي طال النساء والأطفال، متحسرا على المآل الذي صار إليه الوطن بسبب أخطاء السياسة، التي يدفعها الشعب والمجتمع وحده، ومنه فئة الأطفال والنساء:

حتى النساء

يا ويجهن قتلوا النساء

ذبحوا الأجنة في البطون

خانوا السماء

سرقوا من الشمس الضياء

يا ويجهن ذبحوا الصغار

لا فرق بين دم وماء<sup>33</sup>.

ولا تظهر السياسة وحدها سببا للانهيارات الاغترابية الحاصلة في المجتمع الجزائري، وإن كانت لها النسبة الأكبر حسب الوعي الشعري الجزائري، إذ يلتفت الشعراء إلى مسببات أخرى، من أهمها المجتمع في حد ذاته، وما يتمسك به من سلوكيات وطرائق تفكير، والتي تسهم في تشكل مظاهر الفساد والقمع والتخلف، يقول ميلود حكيم:

هكذا في أقفاص مغلقة

اكتشفنا هشاشة الوجود

تنفسنا خيبتنا، وطاردنا أشباحنا في الحكايات

هكذا جننا بعيون مغمضة

لم نفتحها إلا نادرا

ثم أغلقناها نهائيا على بقايا مذبحه<sup>34</sup>.

إنّ قلة التبصر والتفكير في أحوال الواقع المعيش، هي التي أدت حسب الشاعر إلى تجرع مظاهر الاغتراب والخيبة والانهيار والموت، وبالرغم من أنّ الشاعر قد لفت إلى أن الراهن المعيش لم يكن من صنيع المجتمع، بل هذا الأخير وجد نفسه محاصرا ومحاطا بمظاهر القمع والانغلاق، إلا أنه لا يخلي مسؤوليته من استمراره في العيش ضمن واقع متأزم. ومثله يلتفت عز الدين ميهوبي إلى أسباب الكارثة الاجتماعية الحاصلة في واقعه فيقول:

في بلادي

كل شيء بئس

حبة الملح وأعواد

الثقاب

غمزة الأنثى... بيباب

كل شيء بئس

جرعة الماء

ومفتاح السكن

كل شيء بئس

ما عدا الإنسان.. خذ ما

شئت إن شئت..

ومن غير ثمن<sup>35</sup>.

إنّ الشاعر يرجع الوضع المعيش في تمزقه إلى الانهيار الأخلاقي في المجتمع الجزائري والذي تحول بفضل الإنسان إلى لا شيء، ولا قيمة له مقارنة بأشياء مادية لا يحصل عليها إلا بدفع الثمن، وهو التفات منه إلى الوضع الإنساني المغترب المنهار الآيل للخراب.

وداخل هذه البيئة المغترية القائمة سياسيا واجتماعيا وثقافيا، والتي تتسم بالخراب والفساد، حيث يرتسم هذا الواقع في شكل خيبات وانهيارات وغربة حادة عبر عنها الشعراء بأشكال مختلفة.

يقول عثمان لوصيف معبرا عن فقره وضيق حاله، وهو في الآن نفسه فقرو ضيق حال المجتمع الجزائري برمته آنذاك:

أيها الملك الأزلي

المتوج بالفقر

قم نفذ الخبز والزيت

قم نفذ الملح والغاز والأشربة

قم فراخك ييكون من سغب

ورفيقة عمرك.. تلك العليلة

تلك النحيلة

تزفر من ألم..

تشتي جينة

تشتي قهوة وحساء

وفاكمة غضة الطعم

طازجة طيبة<sup>36</sup>

يعبر عثمان لوصيف عن اغترابه الحاد، رغم حضوره الثقافي في مجتمعه من خلال امتنانه للتدريس، والذي لم يشفع له أن يكون ذا شأن، مما يجعله يحس بالاغتراب الذي لم يكن فعلا اختياريا، بل إحساسا داخليا ناتجا عن أثر البيئة السياسية والاجتماعية التي تتسم أخلاقيا بانتشار مظاهر القهر والاحتقار:

كل من حوله

يرمقونه بنظرات الازدراء

يحتقره العمدة والمدير

يحتقره القاضي والوزير

لا يلتفت من حوله

إلا الأطفال الفقراء

غريب حتى في بيته<sup>37</sup>.

ذاق الشاعر في هذه الأسطر ذلّ الغربة، وانكسار النفس، ووحشة الروح، بين ظهراي أهله ومجتمعه، وتأرجح بين أوجاع الاغتراب وآمال الانتصار الشخصي لإثبات وجوده والوصول إلى ما يبتغيه من مجد.

ويعدد يوسف وغليسي أسباب اغترابه في مجتمعه:

ألجأ الآن وحدي إلى " الغار "

لا أهل.. لا صحب.. إلا الحمامة والعنكبوت

غربتني الديار التي لا أحب ديارا سواها

ولكنني متعب.. متعب من هواها<sup>38</sup>.

يتنفس الشاعر العزلة ويحيا بالوحدة، فرسم لنا هذا الافتراق بينه وبين ناس زمانه، وتتوسع ظواهر الغربة لتشمل انعدام الصداقة وخاصة في زمن الحاجة وفي زمن انغلاق الآفاق، فهذه الأبيات مشحونة بالمشاعر المختلفة، متأججة بالعواطف المحتدمة، تمثل عدة تجارب من تجارب الشاعر، منها تجربة الإحساس بالفقد والغربة (فقد الأهل والأصحاب)، وتنامي الشعور بالإخفاق والخيبة والتعب. ويقول أيضا:

غريب على شرفات المدينة

أجتزعهذا تليدا..

وحيد على ربوة الماضي،،

وحيد،، أنوح على دمنة الذكريات وحيدا<sup>39</sup>

إنّ الشاعر يتألم نفسياً إزاء غربته، وتتداخل لديه انفعالات القلق والاضطراب والإحباط والحيرة والوحدة، وهي مشاعر تبدو متداخلة ومعقدة يستحضر من خلالها الماضي التليد مع حاضر مؤلم يعيشه وحده مغتربا حيرانا، محاولا من خلالها الخلاص المؤقت مما ألمّ به. فالشاعر وهو يعبر عن غربته في واقعه ومجتمعه، يؤكد على شعوره بالوحدة، وعلى إحساسه بالتعب نتيجة هذا الشعور، وهو ما يبرز طبيعة العلاقة بينه وبين مجتمعه.

ويرصد عز الدين مهبوبي إحساسه بالاغتراب وباليأس في وطنه المنهار جراء العنف الدموي، الذي عاشته الجزائر في العشرية السوداء، وإحساس الشاعر، نابع من إحساسه بالاغتراب داخل واقعه، ومن عدم قدرته على فهم الراهن:

متى؟

إنه الليل يأتي..  
يجيئون أو لا يجيئون..  
لا فرق..هم يعرفون..  
وانتظر الموت تحت الجدار  
سلوني غدا..  
ربما كنت حيا.. وقد لا أكون  
وحدهم يعرفون<sup>40</sup>.

لقد وصل بالشاعر أنه لا يدري أميت غدا أو هو من الأحياء!؟، فمصيره لم يعد يتحكم فيه، ويظهر الليل هنا كابوسا بالنسبة للشاعر ووطنه لأنه زمن الموت له ولغيره من الشعب الجزائري، ويختتم الشاعر المقطوعة بعبارة ( يعرفون ) دلالة على تعلق حياته وموته بمن هم سبب في مأساته ومأساة وطنه..

إنها غربة الإنسان الذي يتقاذفه الإحباط، ويحيط به الموت من كل مكان ولا عاصم له منه، فيفقد ثقته بما يمتلك من يقين، ويستسلم لقناعات هي وليدة اليأس والقنوط.

#### خاتمة:

من خلال ما سبق لاحظنا أن المغترب الاجتماعي الجزائري – كما تجلّى في الشعر الجزائري الحديث من خلال النماذج المختارة – يعيش صراعا بين أمله في إصلاح المجتمع وتحقيق طموحاته، وبين الواقع الأليم الذي يعيشه ويجده ماثلا أمامه كل وقت ولا مفر منه ولا إليه، فعندما يرفض الاعتراف بهذا الواقع، يجعله ذلك ينفصل وينفصم عن مجتمعه، ونجده يتقوقع داخل شرنقة الاغتراب ويصبح اليأس والإحباط منهجه في الحياة.

#### الهوامش والاحالات:

<sup>1</sup> محمد نجيب التلاوي، القصيدة التشكيلية في الشعر العربي، الهيئة المصرية للكتاب، 2006، ص: 2

<sup>2</sup> محمد بنيس، كتابة المحو، دار توبقال، الدار البيضاء، 1994، ط1، ص: 53.

<sup>3</sup> أحمد يوسف، يتم النص والجنياولوجيا الضائعة، (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2002، ص: 363.

- <sup>4</sup> كمال فنيش، البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة قسنطينة، 2000، ص: 76.
- <sup>5</sup> أحمد شنة، الديوان، من القصيدة إلى المسدس، مؤسسة هذيل، الجزائر، 2000، ط 1، ص: 07.
- <sup>6</sup> كمال فنيش، البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 07.
- <sup>7</sup> الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي 41/4.
- <sup>8</sup> ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1/191، وينظر: سنن النسائي الكبرى للنسائي 257/4.
- <sup>9</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، تاج العروس، الزبيدي، مادة غرب.
- <sup>10</sup> ينظر: قيس النوري، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، المجلد 10، العدد 1، الكويت 1979، ص: 4.
- <sup>11</sup> أحمد علي ابراهيم الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري - دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط 1، 2013، ص: 08.
- <sup>12</sup> ينظر: عبد القادر موسى حمادي المحمدي، الاغتراب في تراث صوفية الإسلام (أطروحة دكتوراه)، ص: 16.
- <sup>13</sup> ينظر: حافظ الشمري، الغربة والاعتراب في شعر نازك الملائكة، (بحث) م كلية الآداب، ص: 131.
- <sup>14</sup> علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر، ديسمبر، 1998، ص: 47.
- <sup>15</sup> قيس النوري، الاغتراب، ص: 33.
- <sup>16</sup> سناء حامد زهران، ارشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، عالم الكتب، مصر ط 1، 2004، ص: 115.
- <sup>17</sup> يحيى العبد الله، الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي، 2005، ص: 80.
- <sup>18</sup> رجب، محمود، الاغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، مصر، ط 2، 1986، ص: 44.
- <sup>19</sup> شاخت، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1995.
- ص: 111
- <sup>20</sup> فاطمة الزهراء سعيد، الرمز في القصة القصيرة الحديثة بالسعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج 1، ع: 1-2، 1989، ص: 110.
- <sup>21</sup> غسان السيد، الاغتراب في أدب زكريا تامر، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 2000، ص: 48.
- <sup>22</sup> عبد العالي رزاق، نماذج الشعر الجزائري المعاصر، شعراً ما بعد الاستقلال، مجلة آمال، ص: 114.
- <sup>23</sup> المصدر نفسه، ص: 114.
- <sup>24</sup> عبد العالي رزاق، نماذج الشعر الجزائري المعاصر، شعراً ما بعد الاستقلال، مجلة آمال، ص: 114.
- <sup>25</sup> المصدر نفسه، ص: 114.
- <sup>26</sup> عزت الحجازي، الشباب العربي ومشكلاته، عالم المعرفة، الكويت 1985، ص: 72.
- <sup>27</sup> المرجع نفسه، ص: 201.
- <sup>28</sup> عبد الحميد باشوات، زمن الرحيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 67.
- <sup>29</sup> المصدر نفسه، ص: 58.
- <sup>30</sup> عزت الحجازي، الشباب العربي ومشكلاته، ص: 72.

- <sup>31</sup> مصطفى دحية، اصطلاح الوهم، منشورات الجمعية الوطنية للمبدعين، دط، 1993، ص: 36.
- <sup>32</sup> الأزهر عطية، السفر إلى القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص: 9-11.
- <sup>33</sup> عز الدين مهبوبي، كاليغولا، مؤسسة أصالة للإنتاج الإعلامي والفني، سطيف، الجزائر، ط 1، 2000، ص: 35.
- <sup>34</sup> ميلود حكيم، أكثر من قبر أقل من أبدية، منشورات البرزخ، الجزائر، 2003، ص: 28.
- <sup>35</sup> عز الدين مهبوبي، ملصقات، منشورات أصالة، ط 1، 1997، ص: 56.
- <sup>36</sup> عثمان لوصيف، أبجديات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص: 77.
- <sup>37</sup> عثمان لوصيف: الإشارات، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص: 67-68.
- <sup>38</sup> يوسف وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، ص: 38.
- <sup>39</sup> يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، ص: 38.
- <sup>40</sup> عز الدين مهبوبي، كاليغولا، ص: 65.